تشرين الأول ٢٠٢٥ / العدد ٢ – ص. ١٢–٢٠

بين الهويّة والانتماء: مَن أنتَ يا بولس؟

الأخت ياره متّى
Sister Yara Matta

الأخت ياره متّى – من راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات، حائزة دكتوراه في اللاهوت والكتاب المقدّس (الجامعة الكاثوليكيّة في باريس)، أستاذة العهد الجديد والأدب اليهوديّ القديم في جامعة القدّيس يوسف وجامعة الرّوح القدس الكسليك، عضو في المجلس التنفيذيّ لرابطة الكتاب المقدَّس العالميّة، عضو في الرابطة الكتابيّة في الشرق الأوسط، لها منشورات وكتابات متعدّدة في علم الكتاب المقدّس والتطبيق الرعويّ.

خلاصة

تلخّص هذه الدراسة إشكاليّة الهويّة والانتماء عند القدّيس بولس كما تظهر في فيلبّي ٣: ٤–٨، مركّزةً على التوتّر بين جذوره اليهوديّة، ومواطنيّته الرومانيّة، وانفتاحه الثقافيّ، وصولاً إلى تحوّله الجذريّ بالإيمان بالمسيح الذي أعاد تعريف هويّته وانتمائه. تعتمد مقاربة مزدوجة تجمع بين النقد الكتابيّ الذي يُبرز أثر النصوص اليهوديّة وتقاليدها على فكر بولس، والتحليل اللاهوتيّ – الروحيّ الذي يُظهر كيف تصبح هويّته المسيحيّة نموذجًا يتخطّى الانتماءات التاريخيّة والعرقيّة لصالح انتماءٍ كونيّ «في المسيح». وتخلص الدراسة إلى أنّ هويّة بولس تُعاد قراءتها دومًا في ضوء القيامة، فتتحوّل خبرته إلى نموذج للحوار الدينيّ والثقافيّ ودعوة لهويّة منفتحة ومتجدّدة.

كلمات مفتاحيّة

الهويّة – الانتماء – بولس الرسول – التقاليد اليهوديّة – التحوّل المسيحيّ

Abstract

Between Identity and Belonging: Who Are You, Paul?

This study addresses the issue of identity and belonging in the thought of Saint Paul, as seen in Philippians 3:4–8, focusing on the tension between his deep Jewish roots, Roman citizenship, and openness to Greek culture, culminating in his transformative faith in Christ, which redefined his identity and sense of belonging. The approach combines biblical criticism—highlighting the influence of Jewish traditions and texts on Paul's thought—with theological and spiritual analysis that reveals how, through Christ, his personal identity becomes a universal model that transcends historical and ethnic affiliations, establishing belonging "in Christ." The study concludes that Paul's identity is in constant process of reinterpretation in light of the resurrection, transforming his experience into a foundational model for interfaith and cultural dialogue, and calling for an open and renewed identity in the Christian community.

Keywords

Identity – Belonging – Saint Paul – Jewish Traditions – Christian Transformation

مع تقدّم الدّراسات وتكاثرها حول كتابات القدّيس بولس اليوم، من جهةٍ، ومع المشكلات التي تطرحها مجتمعاتنا، لا بل العالم بأكمله، حول مسائل الهويّة والانتماء، من جهةٍ أخرى، نقف مفكّرين متأمّلين: «بين الهويّة والانتماء، مَن أنتَ يا بولس؟»، مَن نحن عندما نقرأك، ومَن نصبح؟ كيف نجدك في ما كتبت وتكتب لنا اليوم؟

قد يستدعي هذا السؤال الاستشهاد بقَول أحد معلّمي الشريعة اليهود القدماء، وهو رابّي هِلّيل الشيخ الذي يعلن: «إنْ لم أكنْ أنا لنفسي، فمَن يكون لي؟ وإنْ لم أَكُن إلّا لنفسي، فما أكون؟» ولعلّ في هذا الكلام البسيط عمق فلسفة الوجود المعقّدة، وقناعة المؤمن بأنّ انتماءه لنفسه لا يكفيه، لأنّه يتلقّى هويّته من آخر. كذلك بولس الرسول، اليهوديّ المنشأ والمواطن الرومانيّ، والمتنقّل في دهاليز الحضارة اليونانيّة المنتشرة في حوض المتوسّط آنذاك، يعبّر بصدقه المعهود عن هويّةٍ ينشُدُها باستمرار، يبحث عنها ويبيّنها يومًا فيومًا على مثال سيّده. وكما يقول الفيلسوف الفرنسيّ ميشال سِير[1]: «إذ ينتمي بولس إلى عوالمَ ثلاثة: اليهوديّ واليونانيّ والرومانيّ، فهو لا يتماهى مع أيّ منها»، ففيه الإنسان الجديد يتخطّى انتماءاته هذه. في الواقع، تبدو الرسائل البولسيّة مليئةً بهذا الانشداد المتوتّر بين الهويّة والانتماء. ففي رسالته إلى أهل غلاطية يؤكّد بإلحاح أنّه مدعوّ إلى نشر الإنجيل بين الوثنيّين، وأنّ لا فرق بين يهوديّ أو يونانيّ بالمسيح يسوع (غل ١:١٦؛ ٢: ٧-٩؛ ٣:٢٨). ولكنّه في الوقت عينه يفتخر بأصوله اليهوديّة وبامتيازات انتمائه إلى شعب العهد. كذلك، لا يتوانى الرسول عن الإعلان جَهرًا: «صرتُ لليهود يهوديًّا لأربح اليهود، صرت لأهل الشريعة من أهل الشريعة لأربح أهل الشريعة، وصرت للّذين ليس لهم شريعة كالّذي ليس له شريعة لأربح الّذين ليس لهم شريعة... (اكو ٩: ٢٠-٢١)، بينما يعترف في موضِع آخر (اكو ١٥:١٠) «أنا، بنعمة الله، ما أنا عليه». فأين تكمن معالم هويّته إذًا؟ وإن عرّف عنه الآخرون من خلال انتماءاته المتعدّدة، فكيف يعرّف هو عن نفسه؟ كيف يرسم إدراكه لذاته جسرًا جامعًا بين مقوّمات وجوده وحياته اليوميّة، وبين ما يحدّد هويّته الدّفينة مهما تغيّرت الظروف؟ إنّه موضوع شائك، بل إشكاليّة يطرحها الرسول على قارئه من خلال ما يكتبه عن سيرته الذاتيّة في فيلبّي ٣.

لنقرأ فقرةً من هذا الفصل الثالث، قبل أن نتوقّف معًا إزاء محورَين: الأوّل على الصعيد الكتابيّ المنهجيّ، والثاني على الصعيد اللاهوتيّ والروحيّ.[2]

---

(١) Serres, Michel (2004). *Rameaux*. Paris : Le Pommier, p. 79.

(٢) Cf. Matta, Yara. (2013). *À cause du Christ, Le retournement de Paul le Juif*. Lectio Divina 256, Paris : Cerf.

النصّ والإشكاليّة

يقول بولس في فيلبّي ٣: «إنّا لا نعتمد على الأمور البشريّة ... مع أَنَّه مِن حَقِّي أَنا أَيضًا أَن أَعتَمِدَ علَيها أَيضًا. فإِن ظَنَّ غَيري أَنَّ مِن حَقِّه الإِعتِمادَ على الأُمورِ البَشرِيَّة، فأَنا أَحَقُّ مِنه بِذلِك: إِنِّي مَختونٌ في اليَومِ الثَّامِن، وإِنِّي مِن بَني إسرائيل، مِن سِبْطِ بَنْيامين عِبْرانِيٌّ مِنَ العِبْرانِيِّين. أَمَّا في الشَّريعة فأَنا فِرِّيسِيّ، وأَمَّا في الحَمِيَّة فأَنا مُضطَهِدُ الكَنيسة، وأَمَّا في البِرِّ الَّذي يُنالُ بِالشَّريعة فأَنا رَجُلٌ لا لَومَ علَيه. إِلاَّ أَنَّ ما كانَ في كُلِّ ذلِكَ مِن رِبْحٍ لي عَدَدتُه خُسْرانًا مِن أَجلِ المسيح، بل أَعُدُّ كُلَّ شَيءٍ خُسْرانًا مِن أَجْلِ المَعرِفَةِ السَّامية، مَعرِفةِ يسوعَ المسيحِ رَبِّي. مِن أَجْلِه خَسِرتُ كُلَّ شَيء وعدَدتُ كُلَّ شَيءٍ نُفايَة لأَربَحَ المسيحَ وأَكونَ فيه» (٣: ٤-٨).

«**لأجل المسيح**»! هذا التوتّر الوجوديّ في كيان الرسول ليس مجرّد تعريفٍ عن نفسه كي يفتخر بنفسه أمام معارضيه، إنّما من خلال تجذّره في شعبه وتقليده اليهوديّ، يفجّر بولس بقوّة سبب تحوّله وتحوّل منظار القيم لديه. «لأجل المسيح»! وبسبب لقائه مع المسيح القائم من الموت يُخضِع بولس إدراكه ونظرته إلى الأمور لمقياسٍ جديد، فيُعيد القراءة ويُعيد التقييم. لذلك، يطرح اختبارُه الشخصيّ مشكلةَ الاستمراريّة أو القطيعة بين اليهوديّة والمسيحيّة، لا بل يطرح أيضًا مشكلة العلاقة بين الخاصّ والعامّ[٣]، إذ يدعو الرسول مراسليه إلى الاقتداء به والتشبُّه باختباره وتبنّي اختياره! فكيف يمكن للاختبار الشخصيّ أن يصبح دعوةً، ومثالًا يُحتذى به، ومجالًا وجوديًّا لتغيير نظرة الإنسان إلى الله وإلى نفسه وإلى العالم، وإلى الزمن الماضي والحاضر والمستقبل؟ هذه شهادة بولس وهذه هويّته: **لأجل المسيح**. بهذا، تنقلب المقاييس وتغدو الامتيازات نفايةً. وما أدرانا بالنتائج؟ يخسر بولس كلّ شيء قبل أن يربح أيّ شيء، إذ يقول في السياق عينه: «من أجله خسرت كلّ شيء، كي أربح المسيح». الهدف نُصب عينَيه، ولكنّه ليس بعد مُلك يدَيه. ويتابع النصّ: «لعلّي أبلغ القيامة من بين الأموات. وما ذلك أنّي فُزْتُ أو أدركتُ الكمال، بل أسعى لَعَلّي أستولي كما استولى عليّ يسوع المسيح» (٣: ١٠-١٢). وبكلّ حال، إنّ عمليّة القراءة وإعادة القراءة، وكذلك إعادة إعادة القراءة، ليست غريبة عن شعب بولس. بها تتميّز التقاليد اليهوديّة القديمة التي أعادت مرارًا قراءة التوراة والأنبياء على مدى الأجيال. ويسرّني أن أستشهد بأحد الشعراء المصريّين، وهو من أصل يهوديّ عربيّ، إدمون جابيس، (من مواليد القاهرة سنة ١٩١٢ - توفّي في باريس ١٩٩١) إذ

(٣) Cf. Badiou, Alain. (1997). *Saint Paul. La fondation de l'universalisme*, (Les Essais du Collège International de Philosophie), Paris : PUF.

يقول: «الكتاب غير موجود. القراءة تخلقه. العالم غير موجود، إنّما يخلقه الإنسان باستمرار. العالم هو قراءة الإنسان المستمرّة للعالم».

فالقراءة وإعادة القراءة ظاهرة مستمرّة في البحث عن المعنى وفي بحث الإنسان عن ذاته. كي يكتشف هويّته الحقّة، يُعيد بولس قراءة موارده الإنسانيّة والدينيّة والروحيّة والاجتماعيّة، في ضوء المسيح، فيتحوّل إليه من دون أن يمحو ما هو عليه. عنصر الانقلاب الأساسيّ هو اللقاء مع شخص لا مع فكرة، أي اللقاء مع المسيح القائم من الموت.

من هنا بعض الأبعاد والثمار المتعلّقة بقراءة فيلبّي ٣ من هذا المنظار.

على الصعيد الكتابيّ والمنهجيّ

في عمليّة إعادة القراءة هذه، يركّز النصّ، بشكلٍ خاصّ، على غنى التقاليد اليهوديّة وأثرها في تكوين شخصيّة بولس وتكوين كتابته. فالقارئ المطّلع يحاول أن يستشفّ الخلفيّة التي بنى عليها الرسول مواقفه، من خلال مقارنة منهجيّة تضع جنبًا إلى جنب تعابير الرسالة إلى أهل فيلبّي (٣) وأصداءً مشابهة مستقاة من الترجوم والمِدراش ومخطوطات قمران، وتحمل بعض أوجه الشبه من التقليد الربّيني اللاحق. وعلى سبيل المثال لا الحصر، يمكن للقارئ أن يتوقّف على معاني الختان بالنسبة إلى اليهوديّ، حيث يفتخر بولس أنّه «مختون في اليوم الثامن»، وفي ذلك تشديد على الرابط العضويّ بين مفهوم الختان، ومفاهيم العهد والفداء وتقدمة الذات وختان القلب الروحيّ. وتساعدنا النصوص القديمة على الدخول في هذه المفاهيم، إذ نقرأ مثلًا في ترجوم النبيّ حزقيال (١٦:٦) تساؤلًا حول كلمة الربّ إلى أورشليم: «فمررتُ بك ورأيتُك ملطّخةً بدمائك فقلت لك وأنتِ في دمائك عيشي، في دمائك لا تموتي»، هذا التكرار مع صيغة الجمع للدماء يدعو المترجم إلى الشرح والتفسير فيحلّل قائلًا: «إنّ القدّوس، تبارك اسمه، أعطى شعبه وصيّتَين: دم الفصح ودم الختان، بتتميمهما ينالون الخلاص». وأيضًا: «ذكرت العهد الذي قطعته لآبائكم وظهرت لأخلّصكم عندما كنتم أسرى عبوديّتكم. وقلت لكم: بِدَم الختان سوف أحفظكم، وبدم الفصحِ سأحرّركم». إنّ صفة الافتداء هذه ظاهرة بوضوح في ترجوم سِفر التكوين الذي يُخبر عن تقدمة إسحق بن ابراهيم، فنقرأ فيه خبر مشادّة وقعت بين إسماعيل وإسحق، «فقال إسحق: أنا وريث أبي الشرعي لأنّي ابن امرأته سارة، بينما أنت ابن الأمة هاجر. فأجاب إسماعيل: لا بل على العكس، أنا أكثر برارةً منك لأنّي خُتنتُ بعمر الثالثة عشرة، ولو أردت الرفض لكان لي ذلك. بينما خُتنتَ أنتَ

في اليوم الثامن لميلادك بحيث لم يكن لديك الوعي لذلك ولا الإرادة. فأجاب إسحق: أنا اليوم ابن سبعةٍ وثلاثين سنة وإن طلب القدّوس – تبارك اسمه – كلّ أعضائي ذبيحةً، لما حجبتُ عنه شيئًا. فسمع سيّد العالم هذه الكلمات وفي الحال جرّبت كلمة الربّ إبراهيم وناداه قائلًا إبراهيم إبراهيم، فقال هاءنذا».

الأمثلة كثيرة، ولا شكّ في أنّها تحمل غنًى وغذاءً لفكر المؤمن وقلبه، فهي دعوة إلى قارئ العهد الجديد أن يعمّق معرفته بالأدب اليهوديّ القديم، كي يتسنّى له فهم الرموز والصور والتلميحات التي يذكرها القدّيس بولس في رسائله بشكل أفضل.

على الصعيد اللاهوتيّ والروحيّ

إنّ الفصل الثالث من **فيلبّي**، الذي ينقل إلينا خبرة وجوديّة عاشها بولس بين الانتماءات المختلفة والهويّة الواحدة، يطرح أربعة محاور للتفكير، تعبّر عن أربعةِ تجاذباتٍ: أوّلًا بين الطقوس الخارجيّة والعبادة الروحيّة، ثانيًا بين الاختبار الوجوديّ والتعميم الشموليّ للاختبار، ثالثًا بين الهويّة والانتماء على أساس البُعد الكريستولوجيّ واللقاء بالمسيح، ورابعًا في الحوار بين الأديان في ضوء علاقة المسيحيّة باليهوديّة، في ما تحمله من جذريّ جديد، أو في ما احتضنته من إرث التقاليد القديمة.

١ – بين الطقوس الخارجيّة والعبادة الروحيّة

يتعلّق التجاذب الأوّل بمفهوم الختان بشكل خاصّ. فالتقاليد اليهوديّة القديمة تُظهر بوضوح أهمِّيَّة طقوس الختان بوصفها بوّابة إلى التوراة بأكملها، ورمزًا للهويّة العرقيّة والدينيّة العميقة. فإلى جانب التعلُّق بالمظاهر الخارجيّة، يصبح اتّباع الوصايا موضعًا بشريًّا محتملًا للإخلاص لإله العهد. علاوةً على ذلك، لطالما اهتمّت التقاليد بالبُعد الروحانيّ، الذي يُحذّر المؤمنين من احتمال تحنيط العلاقة مع الله، حتّى لا تُحصَر ضمن نظام مُقنَّن من الممارسات والوصايا الّتي يجب الحفاظ عليها.

من هنا، يتميّز الختان في التقليد اليهوديّ بالثقل اللاهوتيّ والروحيّ، بما أنّه يفتح للمؤمن كنوز الوعد والعهد، بالإضافة إلى توبة القلب والسلوك الأخلاقيّ السليم، وقبول المغفرة الإلهيّة والعدل والفداء. ولكن بالنسبة إلى بولس الرسول، يبقى المرجع النهائيّ المسيح نفسه،

باب العهد والوعود الإلهيّة ومحقّقها بلا مُنازع. فيه، لا بالختان ولا بأيّ طقوس خارجيّة، يأتي الله بنفسه ليمنح برّه وخلاصه (فيلبّي ٣: ٩، ٢٠). ليس التماهي مع المسيح والعبادة المقدَّمة بروح الله طموحاتٍ أثيريّة في عالمٍ وهميّ، ذلك أنّهما يترجمان من خلال المثال الصالح للرسول ورفاقه، بحياةٍ متوافقةٍ مع الإيمان المعلَن. علاوةً على ذلك، تنبع مسيرة الجماعة الدائمة نحو الهدف، في وحدةٍ وانسجام (فيلبّي ٣: ١٥-١٦)، من هذا الترحيب بالمسيح في أعماق الوجود. وهكذا، فإنّ التماسك بين الباطن والخارج، بين الروحيّ والماديّ، بين الإيمان وتجلّياته الفرديّة والجماعيّة، وكذلك التباعد بينها، أمرٌ مُلحٌّ دائمًا بالنسبة إلى المؤمن. وبذلك، يُمكن لواقع العبادة أن يُصبح متنفّسًا للشكر والإخلاص لله الربّ، ومنبعًا للسلوك الأخلاقيّ تجاه العالم وتجاه الإخوة. ولا بدّ عندئذٍ من قبول هذا الواقع بوصفه هبةً من العلاء تستدعي جوابًا؛ وهذا ما اختبره بولس في لقائه المبهر مع المسيح القائم من بين الأموات.

٢- بين الاختبار الوجوديّ والتعميم الشموليّ للاختبار

يطرح التأمُّل في هذا الفصل من فيلبّي مسألة التجربة الروحيّة الخاصّة بحسبانها مكانًا لاهوتيًّا، للتحدّث عن الله بطريقة شاملة، وبالتالي دعوة الآخرين إلى اتّباع نهج مماثل. في الواقع، تُركّز شهادة بولس في فيلبّي ٣: ٧-١١ على البحث عن معرفة المسيح، ممّا دفعه إلى عَدّ كلّ شيء خسارة، ساعيًا إلى الربح الوحيد فقط.

مقارنةً بمقاطع أخرى يستحضر فيها الرسول هذا اللقاء الذي غيّر حياته جذريًّا، يبدو أنّ فيلبّي ٣ يُعبّر بطريقة أعمق وأكثر وجوديّة عن علاقته بالمسيح القائم من بين الأموات. في مواجهة جمهوره الحبيب في كنيسة فيلبّي، لا يتحدّث بولس هنا عن الوحي المتسامي، ولا عن الظهورات الخارقة للطبيعة التي تُعكّر صفو الأحداث. إنّه يُشارك في اختبار داخليّ يُبرز علاقته الحميمة بربِّه. هذه المعرفة الحميمة هي التي غيّرت الرسول، وتُواصل تغييره، ليربح المسيح ويُوجد فيه (فيلبّي ٣: ٨-٩). وهكذا، تتّخذ المعرفة وجه المحبّة. والمحبّة يُعبَّر عنها بمشابهة المحبوب الذي بذل نفسه على الصليب (فيلبّي ٣: ١٠؛ غلاطية ٢: ٢٠).

لا شكّ في أنّ هذا التماهي مع المسيح، الذي يُؤهِّل المعرفة لتغدو رغبةً وجوديّةً في الاتّحاد بالحبيب، يُميِّز بعمقٍ مسيرة بولس. ومع ذلك، يُمكن صوغه وعدّه هدفَ وجودِ كلِّ مسيحيّ يسعى، بالإيمان، إلى اعتناق مثال المسيح، من خلال مختلف ظروف الحياة وتقلّباتها، مهما تنوّعت التجارب الفرديّة. فقد فهم بولس بوضوح هذا التمايز بين الجوهريّ

والطارئ، داعيًا مراسليه صراحةً إلى الاقتداء به (فيلبّي ٣: ١٧). ويُفهم عرضه لذاته على أنّه شهادة نموذجيّة، تتجاوز الإطار الفرديّ لتتّخذ بُعدًا كنسيًّا ورسوليًّا. وهكذا، يُشكّل التوجيه للاقتداء به في علاقته بالمسيح، المبدأ التأويليّ الوحيد الذي يضعه الرسول في متناول الجماعة التي أسّسها، بهدف النموّ في تجدّد الإيمان جذريًّا. إنّ هذا الانتماء إلى المسيح هو ما يُؤسّس هويّته الجديدة، لا بل هويّة كلّ مسيحيّ.

٣- بين الهويّة والانتماء على أساس البُعد الكريستولوجيّ واللقاء بالمسيح

بات الاختبار الوجوديّ الذي عاشه الرسول بولس المنطلقَ اللاهوتيّ لمقاربة سرّ الله الآتي في يسوع المسيح، ولتحديد علاقة الإنسان به. إنّها علاقة مميّزة لا يمكن اختزالها في دلالات صوفيّة أو رؤيويّة لحدث استثنائيّ، ذلك أنّها تُترجَم يوميًّا بما يتوافق مع صليب المسيح، حتّى يتحقّق هذا الإدراك المجيد المدفون في أعمق أعماق الوجود وأكثرها حميميّة. من هذا المنظور، يمكن للمؤمن أن ينتمي إلى أيّ سياق اجتماعيّ وسياسيّ وثقافيّ كان، لكنّه يتقبّل الإنجيل، سواء أكان يهوديًّا أو وثنيًّا، منذ اللحظة التي يصبح فيها المسيح هويّته، وتسعى مواقفه وسلوكيّاته إلى الاقتداء بمثال ربّه. بهذا المعنى، لم يعد هناك «لا يهوديّ ولا يونانيّ، لا عبد ولا حرّ، ولا الرجل والمرأة» (غلاطية ٣: ٢٨). للتعبير عن هذه الحقيقة التي لا تُوصف، يذكر بولس باستمرار شخص المسيح. في فيلبّي ٣: ٧-١١، يظهر السبب الأساسيّ لهذا التحوّل ثلاث مرّات: «من أجل المسيح» (الآية ٧)؛ «من أجل الخير الفائق، معرفة المسيح» (الآية ٨)؛ و«ربّي الذي من أجله خسرت كلّ الأشياء» (الآية ٨). بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الجماعة المؤمنة، اقتداءً بالرسول، تُدرك هويّتها العميقة النابعة من إيمانها بالمسيح. من دون أن تنكر جذورها ومكانتها في العالم، تمدّ يدها إلى هدف رجائها، الذي سيخلّصها ويحوّل الذلّ إلى مجد (فيلبّي ٣: ٢٠-٢١). على مثال بولس، الكنيسة مدعوّةٌ إلى اعتبار ما شكّل لها امتيازات حالتها بمقام النفاية، في ضوء هويّتها الجديدة في المسيح. وهكذا، فإنّ الانتماءات المتعدّدة التي يتحمّل بولس مسؤوليّتها، وكذلك ماضيه وحاضره والمستقبل الذي يرجوه، تجد مبدأها الموحّد في اختبار المسيح القائم من بين الأموات، أي تحت علامة الصليب، الموت والحياة الفصحيّة.

٤ – الحوار بين الأديان في ضوء علاقة المسيحيّة باليهوديّة

في الواقع، يُعبّر بولس الرسول بوضوح عن فخره عندما ينظر إلى أصوله وماضيه: فهو ينتمي إلى بني إسرائيل، وقد عاش انتماءه ملتزمًا بالتيّار الفرّيسي المتشدّد، مُغرمًا بالناموس. والآن، وقد استحوذ عليه القائم من بين الأموات، لم يعد الباقي يُحسب له مكاسب ومزايا. بوصفه فرّيسيًّا، استطاع أن يضع نفسه في موقف يُعيد فيه قراءة تاريخه وتقييمه، وهو أمرٌ ربّما اعتاد على تقليده. وسوف تُسهم أسباب الفخر حينئذٍ في إظهار عظمة الواقع الجديد، إذ «ليس المقصود التقليل من شأن واقعٍ لإبراز عظمة آخر، بل مراعاة جودة خيرٍ ما لتعظيم آخر يُعَدّ أعلى جودة»[٤]. بهذا المعنى، لا ينفصل بولس بأيّ حال من الأحوال عن تقليد إسرائيل؛ بل يستحضره في ضوء تجربته الوجوديّة وإيمانه بالمسيح القائم من بين الأموات. يُعيد قراءته ويُحاوِره؛ فإذا كان بولس بالفعل «رجل القطيعة» كما يُشير أحد الشرّاح اليهود[٥]، فهو أيضًا رجل اللقاء. إنّه، في شخصه وفي رسالته، يُمثّل نموذجًا للحوار بين الأديان، في ملتقى ثقافات وانتماءاتٍ متعدّدة. بعبارةٍ أخرى، يُمكن أن يُشكّل نموذج فيلبّي ٣ نموذجًا تفسيريًّا، حيث ترتبط خصوصيّة الهويّة المسيحيّة بشخص المسيح، من دون استبعاد «الهويّات المتمايزة»؛ تمامًا كما أنّ الهويّة اليهوديّة التي يعتزّ بها بولس كثيرًا تُلخّص بالأمانة للعهد، من خلال الانتماء العرقيّ والدينيّ والنموّ الروحيّ داخل الشعب **المختار**، والمشار إليه في هذا المقطع بالختان. وهكذا، يُمكن لليهود وللمسيحيّين، من خلال الدراسة المشتركة لبولس، الانخراط في خطاب يُقرّ بغنى التراث الّذي يحمله، واللقاء الأصيل الذي جعله رسول الأمم. أليس هذا برنامجًا واسعًا قادرًا على حشد الباحثين؟ إنّه، على الأقلّ، «فنّ الخطوات الصغيرة»، في السعي إلى الأخوّة الشاملة حيث يصبح الله «الكلّ في الكلّ» (١ كورنثوس ١٥: ٢٨).

خاتمة

ليست قراءة بولس اختبارَه، ولا إعادة تقويمه قِيَمَه السابقة في ضوء المسيح ولأجل المسيح، عمليّةً منفردةً وانعزاليّة، بل تهدف إلى بناء الجماعة المسيحيّة، أي إلى بناء المسيح في الجماعة، وبذلك يشبه موسى بحسب ما أخبر عنه أحد نصوص التلمود راويًا ما يأتي:

(٤) Lémonon, J.-P. (2007). « Éclaircissements sur quelques propos de Paul », *SENS* 317/4, p. 221-238, ici p. 225.

(٥) Krygier, R. (2007). « Paul et Israël : du retranchement à la greffe », *SENS* 317 (4), p. 195-220, ici p. 199.

قال الربّ لموسى: اِذهب، اِنزل (خروج ٣٢:٧) ما معنى هذا؟ يقول رابّي أليعازر: إنّ القدّوس – تبارك اسمه – يعني بقوله لموسى: اِنزل من عليائك. اِنزل من عظمتك. لقد وهبتُكَ إيّاها من أجل شعبي إسرائيل، وبما أنّه أخطأ إليّ فلم يُعد لك من دورٍ عندي. فحزن موسى وضَعُفَ ولم تَعُد له القدرة على الكلام. ولكنّه لمّا سمع كلمة الربّ «دعني فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء (تث ٩:١٤) فَهِم أنّ الأمر لا يزال بين يدَيه، فقام من ساعته وصلّى وتوسّل الرحمة الإلهيّة ونال ما أراد. يشبه ذلك ملكًا، غضب غضبًا شديدًا تجاه ابنه وضربه ضربةً عنيفة. وكان صديقه موجودًا ولكنّه خَشيَ أن يتدخّل لصالح الابن. إنّما تابع الملك قائلًا: لو لم يكن صديقي حاضرًا، لكنتُ قتلتُكَ. فعندما سمع الصدّيق ذلك عرف أن بإمكانه التدخّل، وبذلك أنقذ الابن». (*Talmud*, Berakhot 32a)

كذلك نجد بولس متجذّرًا في تاريخ شعب مؤمن يقرأ كُتبَه المقدّسة ويعيد قراءتها. إنّما يفهمها بولس في ضوء المسيح القائم الذي التقاه، فتنقله إعادة القراءة إلى التحوّل العميق، وينقله المسيح إلى إعادة القراءة مجدّدًا. أوَلَسْنا، نحن أيضًا، مدعوّين إلى مسيرة إعادة قراءة؟ مسيرة متواضعة لأنّها لا تنتهي ولأنّنا لا نملكها ولن نملكها يومًا، بحيث نستطيع أن نقول مع الرسول (فيلبّي ٣:١٣): «أيّها الإخوة، لا أدّعي أنّي استوليت، وإنّما يهمّني أمرٌ واحدٌ وهو أن أنسى ما ورائي وأتمطّى إلى الأمام ... أسعى لعلّي أستولي كما استولى عليّ يسوع المسيح».